وانما اسفي اني اهيم بها • الراح نهبا ووصل الخرد العين •
كلاهما كنت افنيه على نشوات • ادري بعيني ما لا استطيل يدي • له وقد حازه من قدره دوني
وان حظي منها حظ مغبون • نفس الملوك وحالات المساكين • يغض طرف التصابي حين تبهته
وانكد الناس عيشا من تكون له • قالوا الكفاف مقيم قلت ذاك لمن • لا يستخف الى بيت الزراجين
قضبان نعمان في كثبان يبرين • ولا يلطفه عرف الرياحين • ولا يهيم بتفاح الخدود وما
ولا يبلبله حب الباسمين أ • لا تجتني راحة الا على تعب • ولا ينال العلا الا من الهون
ن الصدود وترجيع التلاحين • وانما الصفو منها للمجانين • يا آمري ان احث العيس راحلتي
وصاحب العقل في الدنيا اخو كدر • نعمت لكن لي قلبا ينازعني • فلو ترحلت عنه حلمه دوني
لما راى الزهر فيها ليس يرضيني • تود الاماني وطورا فيه تعصيني • من للابي عن قالي والغريب عن
لا ارين وطني طورا تقطعه وعني • هذا يقول غريب ساقه طمع • وذا الحزا دمع البين يجفوني
سير لا ارضى بها من ليس يدريني • يا لحظ كل غزال لست املكه
اليك عني اماني بنعدك يهديني وقربك يطغيني ويغويني
يدنو وما لي حال منه تدنيني • ويا مدامة دير لا الم به • لولا كما كان ما اعطيت يكفيني
• لا اصبر على ما كان من كثب • لمن عطاياه بين الكاف والنون •

وتسمى هذه القصيدة عند اهل الاندلس بكثرة الادب وقد اثبتناها في الفصل الاول الى كثير مما يتعلق بقرطبة اعادها الله الى الاسلام فاغنى عن اعادته وان كان ذكره هنا انسب لان ما تقدم انما هو في ذكرها مع غيرها من بلاد الاندلس وهذا الفصل لها بالاستقلال وانشد ابو العاصي غالب بن امية المروزي لما جلس على نهر قرطبة بازاء الربض ملتفتا الى القصر بديهة

يا قصر كم حويت من نعم • عادت لقى بعوارض السكك
يا قصر كم حويت من ملك • دارت عليه دوائر الفلك
ما شئت فابق فكل منتظر • يوما يعود بحال مترك

وقال ابو الفضل القاضي عياض عند ارتحاله عن قرطبة

اقول وقد جد ارتحالي وغردت • حداتي وزمت للفراق ركائبي
وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتي • وصارت هواء من فؤادي ترائبي
ولم تبق الا وقفة يستحثها • وداعي للاحباب لا للحبائب
رعى الله جيرانا بقرطبة العلى • وجاد رباها بالعهاد السواكب
وحيى زمانا بينهم قد الفته • طليق المحيا مستلان الجوانب
اخواننا بالله فيها تذكروا • مودة جار او مودة صاحب
غدوت بهم من برهم واحتفائهم • كاني في اهلي وبين اقاربي

واما مسجد قرطبة فشهرته تغني عن كثرة الكلام فيه ولنشر من احواله الى ما لا بد منه فنقول قال بعض المؤرخين ليس في بلاد الاسلام اعظم منه ولا اعجب بناء واتقن صنعة وكلما اجتمعت منه اربع سواري كان راسها واحدا ثم صف رخام منقوش بالذهب واللازورد في اعلاه واسفله انتهى وكان الذي ابتدا بنيان هذا المسجد العظيم عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل ولم يكمل في زمانه وكمله ابنه هشام ثم توالى الخلفاء من بني امية على الزيادة فيه حتى صار المثل مضروبا به والذي ذكره غير واحد انه لم يزل كل خليفة يزيد على من قبله الى ان كمل على يد نحو الثمانية من الخلفاء وقال بعض المؤرخين ان عبد الرحمن الداخل لما استقر امره بنى القصر بقرطبة وبنى المسجد الجامع وانفق عليه ثمانين الف دينار وبنى بقرطبة الرصافة تشبيها برصافة جده هشام بدمشق وقال بعض انه انفق على الجامع ثمانين الف دينار واشترى موضعه اذ كان كنيسة بمائة الف دينار فاسلم وقال بعض في ترجمة عبد الرحمن الداخل ما صورته انه لما تمهد ملكه شرع في تعظيم قرطبة فجدد مغانيها وشيد مبانيها وحصنها بالسور وابتنى قصر الامارة والمسجد الجامع ووسع فناءه واصلح مساجد الكور ثم ابتنى مدينة الرصافة منتزها له واتخذ بها قصرا حسنا وجنانا واسعة نقل اليها غرائب الغراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار انتهى وكانت اخته ام الاصبغ ترسل اليه من الشام بالغرائب مثل الرمان العجيب الذي ارسلته من دمشق الشام كما سياتي كلام ابن سعيد بما هو اتم من هذا ولما ذكر ابن بشكوال زيادة المنصور بن ابي عامر في جامع قرطبة قال ومن احسن ما عاينه الناس في بنيان هذه الزيادة العامرية اعلاج النصارى مصفدين بالحديد من ارض قشتالة وغيرها وهم كانوا يتصرفون في البنيان عوضا من رجالة المسلمين اذلالا للشرك وعزة للاسلام ولما عزم على زيادته هذه جلس لارباب الدور التي نقل اصحابها عنها بنفسه فكان يؤتى بصاحب المنزل فيقول له ان هذه الدار التي لك يا هذا اريد ابتياعها لجماعة المسلمين من مالهم ومن فيئهم لازيدها في جامعهم وموضع صلاتهم فشطط واطلب ما شئت فاذا ذكر له اقصى الثمن امر ان يضاعف له وان تشترى له بعد ذلك دار عوضا منها حتى اتي بامراة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة فقالت لا اقبل عوضا الا دارا بنخلة فقال تبتاع لها دار بنخلة ولو ذهب فيها بيت المال فاشتريت لها دار بنخلة وبولغ في الثمن وحكى ذلك ابن حيان ايضا وقيل ان انفاق الحكم في زيادة الجامع كان مائة الف دينار واحدا وستين الف دينار ونيف وكله من الاخماس وقال صاحب كتاب مجموع المفترق كان سقف البلاط من المسجد الجامع من القبلة الى الجوف قبل الزيادة مائتان وخمس وعشرون ذراعا والعرض من الشرق الى الغرب قبل الزيادة مائة ذراع وخمسة اذرع ثم زاد الحكم في طوله مائة ذراع وخمسة اذرع فكمل الطول ثلاثمائة ذراع وثلاثين ذراعا وزاد محمد بن ابي عامر بامر هشام بن الحكم في عرضه من جهة المشرق ثمانين ذراعا فتم العرض مائتي ذراع وثلاثين ذراعا وكان عدد بلاطاته احد عشر بلاطا عرض اوسطها ست عشر

ذراعا

٦٣

ذراعا وعرض كل واحد من اللذين يليانه شرقا وغربا واللذين يليانهما اربع عشرة ذراعا وعرض كل واحد من الستة الباقية احدى عشرة ذراعا وزاد ابن ابي عامر فيه ثمانية عرض كل واحد عشرة اذرع وكان العمل في زيادة المنصور سنتين ونصفا وخدم فيه بنفسه وطول الصحن من المشرق الى المغرب مائة ذراع وثمانية وعشرون ذراعا وعرضه من القبلة الى الجوف مائة ذراع فتكسيره ثلاثة وثلاثين الف ذراع ومائة وخمسون ذراعا وعدد ابوابه تسعة ثلاثة في صحنه غربا وشرقا واربعة في بلاطاته اثنان شرقيان واثنان غربيان وفي مقام النساء من السقائف بابان وجميع ما فيه من الاعمدة الف عمود ومائتا عمود وثلاثة وتسعون عمودا رخاما كلها وباب مقصورة الجامع ذهب وكذلك جدار المحراب وما يليه قد اجري فيه الذهب على الفسيفساء وثريات المقصورة فضة محضة وارتفاع الصومعة اليوم وهي من بناء عبد الرحمن بن محمد ثلاث وسبعون ذراعا الى اعلا القبة المفتحة التي يستدير بها المؤذن وفي راس هذه القبة تفافيح ذهب وفضة ودور كل تفاحة ثلاثة اشبار ونصف فاثنان من التفافيح ذهب ابريز وواحدة فضة وتحت كل واحدة منها وفوقها سوسنة قد هندست بابدع الصنعة ورمانة ذهب صغيرة على راس الزج وهي احدى غرائب الارض وكان بالجامع المذكور في بيت منبره مصحف امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه الذي خطه بيمينه وعليه حلية ذهب مكللة بالدر والياقوت وعليه اغشية الديباج وهو على كرسي العود الرطب بمسامير الذهب رجع الى المنارة وارتفاع المنارة الى الاذان اربع وخمسون ذراعا وطول كل حائط من حيطانها على الارض ثمانية عشر ذراعا انتهى بحروفه وفيه بعض مخالفة لما ذكره ابن الفرضي وبعضهم اذ قال في ترجمة المنصور ابن ابي عامر ما صورته وكان من اخبار المنصور الداخلة في ابواب الخير والبر والقربة بنيان المسجد الجامع والزيادة فيه سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وذلك ان المنصور لما زاد الناس بقرطبة وانجلب اليها قبائل البربر من العدوة وافريقية وتناهى حالها في الجلالة ضاقت الارض وغيرها وضاق المسجد الجامع عن حمل الناس فشرع المنصور في الزيادة بشرقية حيث تتمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربي بقصر الخلافة فبدا ابن ابي عامر في هذه الزيادة على بلاطات تمتد طولا من اول المسجد الى اخره وقصد ابن ابي عامر في هذه الزيادة المبالغة في الاتقان والوثاقة دون الزخرفة ولم يقصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة ما عدا زيادة الحكم واول ما عمله ابن ابي عامر تطييب نفوس ارباب الدور الذين اشتريت منهم للهدم لهذه الزيادة بانصافهم من الثمن وصنع في صحنه الجب العظيم وقدره الواسع فناوه وهو اعني ابن ابي عامر هو الذي رتب احراق الشمع بالجامع زيادة الى الزيت فتطابق بذلك النوران وكان عدد سواري الجامع الحاملة لسمائه واللاصقة بمبانيه وقبابه ومناره بين كبيرة وصغيرة الف سارية واربعمائة سارية وسبع عشرة سارية وقيل اكثر وعدد ثريات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة مائتان وثمانون ثريا وعدد الكؤوس سبعة الاف كاس واربعمائة كاس وخمسة وعشرون كاسا وقيل عشرة الاف وثمانمائة وخمس كؤوس ووزن مشاكي الرصاص للكؤوس المذكورة عشرة ارباع او نحوها ووزن ما يحتاج اليه من الكتان للفتائل في كل شهر رمضان ثلاثة ارباع القنطار وجميع ما يحتاج اليه الجامع من الزيت في السنة خمسمائة ربع او نحوها يصرف منه في رمضان خاصة نحو نصف العدد ومما كان يختص برمضان المعظم ثلاثة قناطير من الشمع وثلاثة ارباع القنطار من الكتان المقطن لاقامة الشمع المذكور والكبيرة من الشمع التي تاخذ بجانب الامام يكون وزنها من خمسين الى ستين رطلا يحترق بعضها بطول الشهر ويعم الحرق جميعها ليلة الختمة وكان عدد من يخدم الجامع المذكور بقرطبة في دولة ابن ابي عامر ويتصرف فيه من ايمة ومقرئين بين
وامناء ومؤذنين وسدنة وموقدين وغيرهم من المتصرفين مائة وتسعة وخمسون شخصا ويوقد من البخور ليلة الختمة اربعة اواق من العنبر الاشهب وثمان اواق من العود الرطب انتهى وقال بعض المؤرخين كان للجامع كل جمعة رطل عود وربع رطل عنبر يتبخر به انتهى وقال ابن سعيد نقلا عن ابن بشكوال طول جامع قرطبة الاعظم الذي هو بداخل مدينتها من القبلة الى الجوف ثلاثمائة وثلاثون ذراعا الصحن المكشوف منه ثمانون ذراعا وعرضه من الغرب الى الشرق مائتان وخمسون ذراعا وعدد ابهائه بعد اكمالها بالشمالية التي زادها المنصور بن ابي عامر بعد هذا تسعة عشر بهوا وتسمى البلاطات وعدد ابوابه الكبار والصغار احد وعشرون بابا ففي الجانب الغربي تسعة ابواب منها واحد كبير للنساء يشرع الى مقاصيرهن وفي الجهة الشرقية تسعة ابواب منها لدخول الرجال ثمانية ابواب وفي الجهة الشمالية ثلاثة ابواب منها لدخول الرجال بابان كبيران وباب لدخول النساء الى مقاصيرهن ولهذا الجامع في القبلي سوى باب واحد بداخل المقصورة المتخذة في قبلته متصل بالساباط المفضي الى قصر الخلافة منه كان السلطان يخرج من القصر الى الجامع لشهود الجمعة وجميع هذه الابواب ملبسة بالنحاس الاصفر باغرب صنعة وعدد سواري هذا المسجد الجامع الحاملة لسمائه والملصقة بمبانيه وقبابه ومناره وغير ذلك من اعماله بين كبار وصغار الف واربعمائة سارية وتسع سواري منها بداخل المقصورة مائة وتسع عشرة سارية وذكر المقصورة البديعة التي صنعها الحكم المستنصر في هذا الجامع فقال انه خط بها على خمس بلاطات من الزيادة الحكمية واطلق حفافيها على الستة الباقية ثلاثة من كل جهة فصار طولها من الشرق الى الغرب خمسا وسبعين ذراعا وعرضها من جدار الخشب الى سور المسجد بالقبلة اثنان وعشرون ذراعا وارتفاعها في السماء الى الجدر افاتها ثمانية اذرع وارتفاع كل شرفة ثلاثة اشبار ولهذه المقصورة ثلاثة ابواب بديعة الصنعة عجيبة النقش شارعة الى الجامع شرقي وغربي وشمالي ثم قال وذرع المحراب في الطول من القبلة الى الجوف ثمان اذرع ونصف وعرضه من الشرق الى الغرب سبع اذرع ونصف وارتفاع قبوه في السما ثلاث عشرة ذراعا ونصف والمنبر الى جنبه مؤلف

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)